

الفرج بعد الشدة

[231] وذكر القاضى أبو الحسين في كتابه قال: حدثنى أبى عن أبى قلابه المحدث قال: ضقت ضيقة شديدة فأصبحت ذات يوم والمطر يجئ كأفواه القرب والاولاد يتضورون جوعا وما عندي حبة واحدة أتقوتها فبقيت متحيرا في أمرى فخرجت فجلست في دهليز وفتحت بابى وجعلت أفكر في أمرى ونفسي تكاد تخرج غما ما أنا فيه وليس يسلك الطريق أحد لشدة المطر، فإذا بامرأة على حمار فاره وخادم أسود آخذ بلجام الحمار، والحمار يخوض في الوحل فلما صار بحذائي سلم على وقال: أين منزل فلان ؟ فقلت: هذا منزله وأنا هو. فسألتنى المرأة عن مسألة فأفتيتها بها فصادف ذلك ما أحببت فأخرجت من حفها خريطة ودفعت إلى منها ثلاثين دينارا، ثم قالت يا أبا قلابه: سبحان خالقك لقد تنوق في قبج وجهك وانصرفت * وحدثني أبو القاسم التنوخى في المذاكرة بإسناد ذهب عن حفطى قال: كان أحمد بن أبى خالد بغياضا قبيح التهجيم، وكان مع ذلك حرا، وكان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له ابن صالح الاضخم من وجوه الكتاب فحدث قال: لما آلت بى العطلة في أيام المأمون والوزير إذ ذاك أحمد بن أبى خالد، وضائق حالى حتى خشيت الكشف فبكرت إلى أحمد بن أبى خالد مغلسا لاكلمه في أمرى فرأيت بابه قد فتح، وخرج وبين يديه بريد المأمون، فلما نظرتني أنكر بكورى وعبس وجهه وقال: في الدنيا أحد بكر هذا البكور ليشغلنا عن أمرنا ؟. فلم تصبر نفسي أن قلت: ليس العجب منك أصلحك ! فيما استقبلتنى به، وإنما العجب منى كيف أسهرت نفسي ليلتى وأسهرت من في دارى تأميلا لك وتوقعا للصبح لاصير اليك وأبئك أمرى فأستعين بك على إصلاح حالى، وحلفت يميني غليظة أن وقفت ببابك أو سألتك حاجة حتى تصير إلى معذرا مما كلمتنى به. وانصرفت مغموما مكروبا بما لقيني به متذمما على ما فرط منى غير شاك في العطب إذ كنت لا أقدر على الحنث، وكان ابن أبى خالد لا يلتفت إلى تبرئة قسمي فإنى كذلك وقد طلعت الشمس إذ دخل بعض غلمانى وقال: أحمد بن أبى خالد مقبل في الشارع، ثم دخل آخر فقال: قد دخل دارنا، ثم آخر فقال قد وقف على الباب، ثم تبادر الغلمان يدخلون الدهليز فخرجت مستقبلا له. فلما استقر في مجلسه من دارى